

دور إمارة أردلان في الصراع الصفوي العثماني

أحمد رضا خضري^١، أصغر قائدان^٢، ستار آينه پور^٣

تاريخ القبول: ١٤٣٢/١٢/١٢

تاريخ الوصول: ١٤٣٢/١٠/٥

يعتبر الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية من أبرز سمات القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، وكان أحد أسباب هذا الصراع هو سعي كل من الدولتين إلى السيطرة على الإمارات الكردية ومن أهمها إمارة أردلان التي كانت تحكم مناطق واسعة وتسيطر على قلاع إستراتيجية وتملك قوة عسكرية قوية.

تهدف هذه الدراسة ضمن المنهج التاريخي إلى إبراز مدى أهمية هذه الإمارة ودورها في الصراع بين الدولتين وموقفها في المراحل المختلفة من هذا الصراع وسياسة كل منهما تجاهها وخاصة الدولة الصفوية التي استطاعت في نهاية الأمر أن تخضع هذه الإمارة لسلطانها وكذلك تأثير هذا الصراع على الإمارة والذي كان من نتائجه فقدان الإمارة لقسم كبير من أراضيها في شهرزور مقابل تبعيتها للصفويين. ومن العوامل المؤثرة على قبول الأردلانيين بتبعيتهم للصفويين السياسات التعسفية للدولة العثمانية وأطماعها في الحصول على شهرزور وإنتهاج سياسات أكثر اعتدالا وانعطافا من جانب الدولة الصفوية وظهور دولة مركزية قوية في إيران.

الكلمات الرئيسية: الدولة العثمانية، الدولة الصفوية، الصراع الصفوي العثماني، إمارة أردلان.

Ahmadkhezri@yahoo.com

as.qaedan@gmail.com

ayenehpor@yahoo.com

١. الأستاذ المشارك في فرع التاريخ والحضارة الاسلامية في جامعة طهران.

٢. الأستاذ المساعد في فرع التاريخ والحضارة الاسلامية في جامعة طهران.

٣. طالب دكتوراه في جامعة طهران فرع التاريخ والحضارة الاسلامية.

تمهيد

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) بدأ عهد جديد في الشرق، فبعد قرون من القهر والفرق استعادت بلاد فارس سلطتها الموحدة ومن ناحية أخرى اتجهت الإمبراطورية العثمانية بأنظارها إلى الأراضي الواسعة بين نهر الفرات وإمبراطورية فارس الصفوية؛ حيث الأراضي العربية وكرديستان (سافراستيان، ٢٠٠٨: ٧٩، عبد الله، ٢٠٠١: ٢٣). ويخضع قسم كبير منها لسلطة إمارة أردلان الكردية.

وتعتبر المناطق الكردية أحد أسباب الصراع والأزمة في الحدود بين الدولتين لأنّ كلاّ منهما كانت تطمح في السيطرة عليها وإخضاعها لسلطانها وتنظر اليها كجزء لا يتجزأ من أراضيها (م. ن: ٣٧). ويصل طول الحدود العثمانية الإيرانية من الخليج الفارسي إلى آراوات تقريباً إلى ١١٨٠ ميلاً و يعبر ما يقرب من ٧٠٠ ميلاً منها ما يساوي ٥٩/٣٢% من الحدود بين الامبراطوريتين في الأراضي التي كان يسكنها الأكراد. وهذا يظهر بوضوح مدى تأثير المناطق والإمارات الكردية على الصراع بين الدولتين وتأثيرها به في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية (م. ن: ١٨).

وحول أسباب هذا الصراع بين الإمبراطوريتين يرى سيوري ومورغان أنّ السبب الرئيس هو الصراع المذهبي، (سيوري، ١٣٨٥: ٣٧، مورغان، ١٣٧٣: ١٥٦) في حين أنّ العوفي ينفي السبب المذهبي للصراع ويعتقد أنّ الدولتين كانتا تتستران بالشعار المذهبي، (العوفي، ٢٠٠٨: ٧٣) ويرى بطروشفسكي أنّ السبب الأساسي هو التنافس على الأراضي الإستراتيجية الواقعة على الطرق التجارية الرئيسة (بطروشفسكي، ١٣٦٣: ٣٩٧). ويقول السن: كان الأكراد والنواحي التي يسكنونها سبباً للخلافات الحادة بين

الإمبراطوريتين وظلت كذلك إلى سقوط الدولتين (السن، ١٣٨٤: ٣٤).

كانت المناطق الكردية الواقعة على الحدود الحالية بين إيران والعراق (و معظمها أراضي خاضعة لسلطة الأردلانيين) طوال هذه القرون ساحة للصراع بين الدولتين. يقول لونكريك: أكثر ما يتضح تصادم الأتراك والإيرانيين في تعطشهم للممتلكات في أودية شهرزور. فإنّ ما يقف في وجه المطالبات والإدعاءات التركية هنا لا ينطوي في إستقلال الأمراء المحليين، ولكن في المطالبات والإدعاءات المقابلة التي تدّعيها الأسرة المالكة في أردلان. فقد كانت تدّعي السيطرة على شهرزور قبل أن يظهر الترك والصفويون (لونكريك، ١٩٦٢: ٤٣). ويعتبر التاريخ الحافل بالأحداث لإمارة أردلان خير مثال للدور الذي يمكن أن تلعبه الموقعية الجغرافية للحيلولة دون ما تصبو إليه دولة ما في الحفاظ على استقلالية الدولة وعدم السماح للتدخلات الخارجية في شئونها الداخلية. تأسست هذه الإمارة إثر حدوث فراغ في وجود دولة قوية في إيران والعراق من جهة، وانشغال العثمانيين بازدياد مستعمراتهم في أوروبا والبلقان من جهة أخرى.

وفي ظل هذه الظروف المساعدة استطاع أمراء هذه الأسرة أن يوسعوا رقعة حكمهم إلى المناطق الواقعة في شرق وجنوب أراضيهم؛ بحيث أصبحت الإمارة الأردلانية دولة قوية واسعة ولم تكن مستعدة كي تعترف بسلطة أي دولة عليها أو تكون تابعة لها.

ولكن مع تأسيس الدولة الصفوية في إيران وبدء العثمانيين في توسعة رقعة حكمهم في جهة المشرق، واجه الأردلانيون صعوبات ومشاكل في المحافظة على ممتلكاتهم واستقلالهم. وأصبحت عرضة للمخططات والأطماع التوسعية للإمبراطوريتين اللتين كانتا تسعى كل واحدة

وقد أمهى ناصر الدين شاه القاجاري حكم هذه الأسرة في سنة ١٢٨٤ هجرية (أردلان، ٢٠٠٥م: ٣٠٣).

إمارة أردلان والصراع الصفوي العثماني:

حكم إمارة أردلان في العصر الصفوي ١٥ أميراً من هذه الأسرة وفي بعض الأحيان حاول الصفويون تعيين حكام من خارج الأسرة الأردلانية ومن غير الأكراد سعيّاً منهم لإنهاء حكم الأردلانيين والسيطرة الكاملة على المنطقة. ولكن هذه السياسة لم تنجح واضطر الصفويون للعدول عن هذا النهج بتعيين أمراء من الأسرة الأردلانية (قاضي: ١٣٨٧، ٣٧ و ٣٨). وفي أواخر العهد الصفوي بسبب عدم رضا الناس عن الأمير الأردلاني علي قلي خان، قام ناس من أعيان أردلان بدعوة خانه باشا حاكم إمارة بابان التابعة لباشوية بغداد والامبراطورية العثمانية لاحتلال أردلان. فدخل جيوش البابان بقيادة خانه باشا مدينة سنندج في سنة ١١٣٦ هجرية بدون أي مقاومة. وإستمر حكم البابانيين في أردلان إلى سنة ١١٤٢ هجرية (مردوخ كردستاني، ١٣٧٩، ٥-٣٣٤).

مع بدء الصراع الصفوي-العثماني كانت السياسة العامة المتبعة لإمارة أردلان هي الحيادية وعدم الانجرار إلى الحروب الدامية بين الدولتين (قاضي ١٣٨٧، ١٤، أردلان ٢٠٠٥م، ٣٣) ولم يذكر أي من المصادر مشاركتها في حرب جالديران المعروفة. ولكن مع اقتراب ميدان هذه الحروب من الحدود الأردلانية وتنافس الدولتين للسيطرة على أراضيها إضطّر أمراء أردلان إلى إتخاذ مواقف أكثر وضوحاً من ذي قبل ومرت هذه المواقف بثلاث مراحل متباينة:

١. مرحلة التبعية للعثمانيين

يري لونكريك أنّ إمارة أردلان قبلت بتبعيةها للدولة

منهما لضمها إليها أو السيطرة عليها أو على الأقل أنّ تستخدمها لصالحها ضد الأخرى (اسكندر، ٢٠٠٤: ٦٨ و ٦٩). ضمن إشارته إلى سعة رقعة حكم الأردلانيين في مدة حكم الأمير مأمون بيك يقول لونكريك: وكان هذا الوضع لايتفق مع دعائات العثمانيين ووجود الحامية الإنكشارية في كركوك ومع الحاجة لضبط الطرق المؤدية إلى الشرق لذا كان لابد من التصادم المحلي مع موظفي الأردلانيين ونفوذهم، وقد كان والي أردلان بنظر السلطان سليمان جاراً قوياً غنياً ومثلاً سيئاً لدويلتي العمادية وبتليس الأليفتين، ومن أجل هذا جرّد لحربه (لونكريك: ١٩٦٢، ٤٣).

تنحدر أسرة أردلان الحاكمة إلى بابا أردلان مؤسس الإمارة ومع أنّ الروايات حول أصول الأسرة وبداية حكمهم متضاربة، ولكن من الثابت أنّهم أوجدوا إحدى الحكومات الأطول عمراً والأكثر قوة ورقعة من بين الإمارات والدول الكردية. يقول لونكريك: وليس بين حيران العراق، في حقبتنا التاريخية هذه من الإمارات ما يمكن مقايسته بإمارة أردلان من جهة الثقافة أو الحكم الملكي (م.ن: ٧٥٦).

أسس بابا أردلان أمارته في شهرزور ثم بنى قلعة (زلم) كمركز لحكمه. فامتدت سطوته بسرعة وسيطر على قبائل شهرزور والوديان التي في شرق الأورامان. وفي عهد مأمون بيك الأول كان نهر الزاب الكبير يشكل الحدود الشمالية لإمارة أردلان (زكي بيك، ١٣٨١ق: ٢/٢١٤). لقد وكان الأمير هلوخان المعاصر للشاه إسماعيل الصفوي يحكم القلاع الأربع الإستراتيجية الهامة في المناطق الحدودية بين الدولتين وهي قلعة زلم في شهرزور وقلعة مريوان وقلعة پلنكان وقلعة حسن آباد (قاضي، ١٣٨٧ق: ٢٠ و ٢١، اردادن، ٢٠٠٥: ٤٨ و ٤٩، مردوخ، ١٣٧٩ق: ٣٢٣).

العثمانية بعد معركة جالديران ولكن هذه التبعية كانت شكلية وكانت تقيم علاقاتها مع كل من الدولتين بناءً على مصالحها (لونكريك ١٩٦٢م، ٢٠). بينما يشير مأمون بيك بأن هذه التبعية لم تأتي مباشرة بعد تلك المعركة، بل جاءت بعد أن احتل العثمانيون ولايتي ديار بكر والموصل في سنة ١٥١٥ م. وجدّد بيكه بيك تبعيته في عهد السلطان سليمان حينما كان الوزير الأعظم إبراهيم باشا في طريقه إلى إيران حيث أرسل له بيكه بيك رسولاً يعلن له ولائه (مه ثموون به ك، ٢٠٠٢م: ٣٥). وجاء الإنجرار الحقيقي والمباشر للإمارة في هذا الصراع بعد بدء حملات السلطان سليمان القانوني الأربعة على إيران في عهد الشاه طهماسب الصفوي. وكان يحكم أردلان في هذه الفترة الأمير بيكه بيك ابن مأمون بيك الأول ثم ابنه مأمون بيك الثاني ثم أخوه سرخاب بيك ابن مأمون بيك الأول.

في حملة السلطان سليمان الأولى بعد أن احتل الجيش العثماني مدينة تبريز، واجهوا صعوبة كبيرة في تهيئة القوات والعلوفة مما جعل السلطان يسرع في المسير إلى بغداد (بور ايران، ١٣٨٤ق: ٨٩). غير أن برد الشتاء وأمطاره الغزيرة جعلت مرور الجيش صعباً. فقد تركت مئات من الحيوانات وأحرقت عربات المدافع ودفنت المدافع لثلاستفيد منها العدو (لونكريك ١٩٦٢م، ٢٢). ولما وصل السلطان سليمان إلى بغداد. بعث رسولا إلى بيكه بيك يأمره فيه أن يقوم بالعثور على المدافع المدفونة وإيصالها إلى بغداد. فقام بيكه بيك بهذه المأمورية خير قيام (مه ثموون به ك: ٣٢). ولما قصد السلطان الرجوع إلى تبريز أمر بيكه بيك بتهيئة العلوقة والذخائر للجيش. فقام بيكه بيك بتزويد الجيش بما يحتاجه من العلوقة والذخائر إلى أن وصل الجيش إلى مراغة (المصدر السابق: ٣٥).

ويبدو أن السلطان انتبه في هذا السفر إلى قدرة أماره

أردلان وأهمية موقعها الإستراتيجي وخصوبة أراضيها، يقول العزاوي: ولكنها (الدولة العثمانية) لم تقبل بالإذعان الإسمي والطاعة الظاهرية ولا تزال الدولة تطمع فيها وتود أن تتدخل في أمرها وأوضاعها مباشرة وكانت تتربق الفرصة كذلك (العزاوي، ٢٠٠٠: ١٦٣). ويظهر أن السلطان كان يتحایل الأعذار ويتربق زلات الأمير الأردلاني بيكه بيك ليحتل شهرزور. فنراه يأمر أمراء بغداد بالزحف على شهرزور لأن بيكه بيك لم يجدد تبعيته للباب العالي. فيسرع بيكه بيك لإعلان وفائه ويقبل بأن يكون ابنه مأمون بيك على صغر سنه رهينة عند الوالي في بغداد (مه ثموون به ك ٢٠٠٢م: ٣٥).

خروج ألقاص ميرزا أخو الشاه طهماسب كان سبباً في حملة جديدة على إيران والضغط على الإمارة الأردنية. فبدأت الحملة الجديدة في سنة ٩٥٥ هجرية ولكن الجيش العثماني انسحب من تبريز بسبب قلة المؤن والعلوفة (تركمان، ١٣٨٢ق: ٧٠، سيوري ١٣٨٥: ٦٠). أما ألقاص ميرزا فقد قاد حملة على مدن في مركز وجنوب إيران لكنه رجع خائباً إلى بغداد (تركمان: ٢-٧١). وطلبت الدولة العثمانية من بيكه بيك أن يلقي القبض عليه ويرسله إلى الباب العالي. فلم يبق لدى ألقاص حيلة إلا أن يستجير بسرخاب بيك أخي بيكه بيك في قلعة مريوان (م.ن: ٧٥). ومع أن بيكه بيك ألح على أخيه أن يسلمه ألقاص ميرزا (مه ثموون به ك ٢٠٠٢م: ٥٦ و٥٧)، لكنه لم يفعل وسلّمه للإيرانيين (تركمان ١٣٨٢: ٧٥، هوشنك مهديوي، ١٣٨٣ق: ٣١). وهذا الحدث كان السبب في حصول انشقاق بين أفراد الأسرة الأردنية لأول مرة. فقام بيكه بيك بشنّ حملة ضد سرخاب الذي طلب مساعدة الشاه طهماسب. فحاصر بيكه بيك أخاه ثلاثة شهور في الشتاء وما أن حلّ الربيع وذابت الثلوج ووصلت

الإمدادات من إيران بقيادة سوندك بيك حتى حصل قتال كبير بين الفريقين ثم تحصن بيكه بيك في قلعة زلم ورجع القزلباش بعد عشرين يوماً إلى قزوین (روملو، ١٣٤٢ق: ٣٤٥-٦، مه ثمون به ك: ٦١).

٢. مرحلة التباين في الولاء والتبعية:

بعد أن أدرك الأردلانيون أن كل محاولاتهم لإرضاء العثمانيين لم تجد نفعاً للحيلولة دون أطماعهم في الحصول على شهرزور وأنهم كل ما حاولوا الإقتراب منهم والإذعان بالتبعية لهم، ازداد العثمانيون في اتباع سياسة أعمال الضغط والإضطهاد للقيام بالحملة الواحدة تلو الأخرى، ومن الجانب الآخر طرأت تغييرات في سياسات ومواقف الصفويين من بدايات عهد الشاه طهماسب؛ إذ أنهم رأوا أن من مصلحتهم الإقتراب أكثر من الأردلانيين. وقد لاحظنا نتيجة هذه السياسة كيف أن الأمير سرخاب بيك انتصر للإيرانيين في حادثة ألقاص ميرزا، الأمر الذي حمل العثمانيين على القيام بحملتين على سرخاب بيك. الحملة الأولى كانت بقيادة عثمان باشا ولكنه لم ينجح فمات من الحيلة والتعب بعد أن أصيب بجراح وقتل مساعده وتشتت قواته إثر ذلك (مه ثمون به ك ٢٠٠٢ م: ٧٤، لونكريك ١٩٦٢م، ٤٤). الحملة الثانية عهدها إلي محمد باشا بلطجي الذي هج الطريق الدبلوماسي ووعد سرخاب بأنه لو تخلى عن قلعة زلم وانسحب إلى قلعة مريوان أن يخلي سبيله فقبل سرخاب هذا العرض (مه ثمون به ك ٢٠٠٢م: ٧٦). وهذه أول مرة يتخلى فيها الأردلانيون عن متصرفاتهم في شهرزور وعن قلعة زلم معقلهم الرئيس ومركز حكمهم التقليدي.

معاهدة آماسية وأثرها على إمارة أردلان:

توصل الإيرانيون والعثمانيون إلى أول معاهدة صلح رسمية

بينهما في سنة ٩٦٣ هجرية عرفت بمعاهدة آماسية (بارسادوست، ١٣٦٩ق: ٣٦، هوشنگ مهدوي ١٣٨٣ ق: ٣٣). بناء على ذلك تفق الجانبان على قضايا حدوديه عدة، منها أن يتم تحديد حدود منطقة شهرزور التي كانت سببا في النزاع بين الدولتين (عه لياوهي، ٢٠٠٤: ١٣، عبدالله ٢٠٠١م: ٣٥).

على أساس هذه المعاهدة انقسمت إمارة أردلان إلى قسمين فأصبحت أورامان ومريوان وبانه وسقر في الجانب الإيراني وشهرزور وشهر بازار وقره داغ داخل الحدود العثمانية (مصطفى أمين، ٢٠٠٦: ٥٢٤). علماً أن هذا البند من المعاهدة بقي مجرداً من صفته العملية (العوفي ٢٠٠٨م: ١٦٨) كما سنلاحظ ذلك فيما بعد. ويلاحظ في هذه المرحلة أن الإمارة الأردلانية لم تكن ثابتة في ولائها، فتارة تكون مع الصفويين وتارة تكون مع العثمانيين فقد كانت متأرجحة في ولائها. فرى أن الأمير تيمور خان ابن سلطان على بيك (٩٩٨-٩٨٦) قد استفاد من الإضطرابات الموجودة في إيران فأقام لعلاقات مع السلطان مراد الثالث واستطاع في ظل هذه العلاقات أن يستعيد ما فقده الأردلانيون في عهد سرخاب بيك والتي نصت عليه معاهدة آماسية. ثم توجه إلى إيران فاستولى على دينور وسنقر ولكنه قتل في حملة شنّها على زرین كمر سنة ٩٩٨ هجرية (بدليسي، ١٣٨٤ق: ٢-١٤١، قاضي ١٣٨٧: ١٨-٢٠).

ثم جاء هلوخان ابن سلطان على بيك (١٠٢٥-٩٩٨) الذي كان معاصراً للشاه عباس الصفوي. وكان يسيطر على القلاع الهامة الإستراتيجية في المناطق الحدودية بين الإمبراطوريتين وهي قلعة زلم وقلعة مريوان وقلعة پلنكان وقلعة حسن آباد وكان يسعى أن يقف موقفاً محايداً في النزاع الصفوي العثماني وأن يبي علاقات حسنة مع

الدولتين (قاضي ١٣٨٧: ٢٠، اردلان، ١٣٥٦ق: ١٩ و٢٠). ولكن هذه السياسة لم تكن لترضى أحداً من الدولتين. فنرى أن إحدى بنود معاهدة سنة ١٠٢٢ هجرية بين الشاه عباس والعثمانيين هو أن يتخلى الإيرانيون عن حماية هلو خان الذي استولى على شهرزور بالقوة (پورگشتال، ١٣٦٧ق: ١٧٥٧/٣، عبدالله: ٣٦). من جهة أخرى كان الشاه عباس يحاول أن يسيطر على إمارة اردلان عن طريق الحملات العسكرية لكنه لم ينجح (مردوخ: ٣٢٤، اردلان: ٢٠، مصطفى امين: ٥٢٨).

٣. مرحلة التبعية الكاملة للصفويين

بدأت هذه المرحلة في أواسط إمارة هلوخان ومتزامنا مع إعتلاء الشاه عباس الصفوي عرش السلطة في إيران ومساعيه المترامية لإيجاد حكومة قوية. ولما لم ينجح في إخضاع الأردلانيين عن طريق الحملات العسكرية اضطُر أن يأخذ بنصيحة أحد مشاوريه بالدخول من باب الدبلوماسية. واثّر ذلك قبل هلوخان بتبعيته للدولة الصفوية ولإثبات صدقه أرسل ابنه خان أحمد خان رهينة عند الشاه (أردلان: ٢١).

ومن هذا التاريخ بدأت صفحة جديدة في العلاقات الصفوية الاردلانية حيث تنازل الأردلانيون عن استقلالهم وقبلوا بتابعيتهم لإيران واستجّدت أمور في هذه العلاقات هي: ١- يُعيّن حاكم أردلان من قبل الشاه وغالباً يكون ابن الأمير المتوفى أو المعزول أو أحداً آخرّاً من الأسرة الأردلانية، ٢- أخذ رهينة أو رهائن من الأسرة الأردلانية إلى العاصمة إصفهان، ٣- تغيير مذهب بعض الأمراء من السنة إلى الشيعة وخاصة من بين أولئك الذين كانوا رهائن في العاصمة وهذا التغيير كان ظاهرياً ولإرضاء الحكام (ريج، ١٣٧١ق: ٢١٩)، ٤- زواج أشخاص من الأسرة الأردلانية من الصفويين أو من بعض قبائل القزلباش وبعدها

من القاجاريين لتحكيم العلاقة (اردلان، ٢٠٠٥م: ٥١، وقايع نگار كردستاني ١٣٨٤: ٩٢، باباي، ١٣٧٧ق: ٤٢). وأكثر هذه الأمور كانت تتجدد من حين لآخر حتى بعد سقوط الصفويين وهي أمور ساهمت شيئاً فشيئاً في إضعاف الإمارة إلى أن أنهى القاجاريون حكمها.

لكن التبعية الكاملة للصفويين جاءت في إمارة خان أحمد خان ابن هلوخان (١٠٤٦-١٠٢٥) الذي يعتبر واحداً من الإمراء العظام في الإمارة الأردلانية وكان معاصراً للشاه عباس والشاه صفي. أخذ الشاه عباس رهينة وزوجه من إحدى أخواته وبعد فترة أرسله إلى أردلان ليمسك بزمام الأمور. ولكن أباه هلوخان لم يرض بذلك. فاضطر خان أحمد خان أن يثور على أبيه وبمسك بزمام الحكم ويرسل أباه إلى اصفهان حيث مات بعد ذلك بـمدة قصيرة^٢.

و نستطيع أن نقسم مراحل حكم خان أحمد خان إلى مرحلتين: في المرحلة الأولى نراه في وفاق كامل مع الصفويين وغالب خطواته كانت بإيعاز منهم وتصب في مصلحتهم. منها حملته على قبائل المكري واللباس الذين كانوا مصدر إزعاج حقيقي للقزلباش وحملته على توابع شهرزور وسوران وآكو وعمادية وكركوك ليدعنوا بطاعتهم للدولة الصفوية (قاضي: ٥-٢٤، اردلان ٢٠٠٥م: ٩-٥٦). ومنها مشاركته في فتح بغداد مع الشاه عباس سنة ١٠٣٣ هجرية (تركمان ١٣٨٢: ١٠٦، لونكريك ١٩٦٢م: ٦٥). أما في المرحلة الثانية فقد أثر قيام الشاه صفي بسمل عيني ابن خان أحمد خان تأثيراً سيئاً على خان أحمد خان مما جعله قعيداً لايقدر على إدارة أمور البلاد لمدة سنة كاملة (اردلان ٢٠٠٥م: ٦٥، ٦٦، وقايع نكار كردستاني ١٣٨٤: ٩٤، مردوخ ١٣٧٩: ٩-٣٢٨). فاستفاد العثمانيون من هذا الفراغ وقاد خسرو

باشا في سنة ١٠٣٩ هجريه حملة على أردلان إحتل خلالها شهرزور ومريوان. ثم إحتل مدينة همدان (چارشبي لي، ١٣٧٩ق ٣/ ٤-١٩٣، إصفهاني، ١٣٦٨ق: ٧٣). بعد سنة تحسنت حالة خان أحمد خان الصحية ولكنه قرّر أن يعرض عن الصفويين. فجرد حملات على كرمانشاه وهمدان وأرومية وسنقر وگروس ولكنه هُزم من الايرانيين في سنة ١٠٤٦ هجرية وانسحب إلى الموصل ومات ودفن فيها (أردلان: ٦٧-٦٨).

عين الشاه صفي سليمان خان ابن مير علم الدين بعد خان أحمد خان (١٠٦٨-١٠٤٦) أميراً على أردلان وكلفه بإنتقال مركز الحكومة من قلعة حسن آباد إلى سنندج. ثم قام بتدمير القلاع الأربعة التي كانت مراكزاً لإمارة أردلان وحافظاً لهم في وجه الهجمات العسكرية، وذلك تنفيذاً لأوامر الشاه صفي مما سهل على العثمانيين فيما بعد إحتلال شهرزور (قاضى ١٣٨٧: ٢٨، أردلان ٢٠٠٥م: ٧٠). ظلت إمارة أردلان تابعة وموالية لحكومة الای رانية حتى بعد إنقراض الصفويين إلى أن أنهى القاجاريون حكمهم.

معاهدة صلح الذهاب

في سنة ١٠٤٩ هجرياً وبعد فتح بغداد من قبل العثمانيين إضطر الشاه صفي أن يقبل بمعاهدة صلح عرفت بمعاهدة ذهاب. هذه المعاهدة أنهت الحروب التي طالت قرناً ونصف بين الدولتين وظلت المعاهدة حاکمة على علاقات الدولتين حتى أواخر عهد الصفويين (محي، ١٣٨٧ق: ١١ و١٣، پارسادوست ١٣٦٩: ٥٣، هوشنگ مهدوي ١٣٨٣: ١٠٥). وتعتبر هذه المعاهدة الحجر الأساس في تثبيت الحدود بين الدولتين وكانت ترسيخاً لتقسيم كردستان بينهما. ومن ضمن ما اتفق عليه الجانبان تحديد تابعة بعض

المناطق والعشائر والقلاع (الدوسكي، ٢٠٠٦: ١٦٨). وكان من نتائجها تقسيم ممتلكات إمارة أردلان، وفقدت الإمارة إلى الأبد ممتلكاتها التي تقع غربي جبال أورامان وأراضيها الخصبة في شهرزور وقره داغ وقزله وسروجك. واحتفظت بممتلكاتها في القسم الغربي من جبال أورامان وتشتمل على سنندج وحسن آباد ومريوان وأورامان وبانه وسقز وسياه كوه وجوانرود. وفقدت قسماً عظيماً من قوتها الإقتصادية والعسكرية والجغرافية (أردلان، ١٣٨٧ق: ٥١).

السياسة الصفويه تجاه إمارة أردلان

و مما سبق نستطيع أن نقسم سياسة الدولة الصفوية تجاه إمارة أردلان إلى ثلاث مراحل:

١- عهد الشاه إسماعيل الأول:

وقد سارت سياسة الحكومة الإيرانية في البدء على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل الكردية (خصباك، ١٩٥٩: ٢٢). ولكن هذه السياسة لم تدم طويلاً، فحينما جاء حوالي عشرون من أمراء وأعيان الأكراد إلى الشاه ليعلنوا له تبعيتهم وولائهم امر الشاه بزج هؤلاء الأمراء في السجن بتحريض من محمد خان استاجلو. وفي هذه المرحلة كانت السياسة السائدة هي عدم الاعتماد على الأكراد ومحاولة تعيين أمراء من القزلباش، ونستطيع أن ندرك ذلك في الحملة التي قام بها جايان سلطان على أردلان للإستيلاء عليها (مه ثموون به ك ٢٠٠٢م: ٣١). علماً أنّ هذه السياسة كانت لها الأثر الأكبر في قبول كثير من الإمارات الكردية بتبعيتهم للعثمانيين.

٢- من عهد الشاه طهماسب إلى عهد الشاه عباس

في هذه المرحلة حاول الصفويون العدول عن السياسة السابقة وإقامة علاقات حسنة مع الأردلانيين وأحياناً

مساعدتهم ضد العثمانيين. وهذه السياسة كانت لها الأثر الكبير في إقتراب الأردلانيين من الدولة الصفوية.

٣- من عهد الشاه عباس إلي آخر الصفويين

في هذه المرحلة نجح الصفويون في السيطرة على الأردلانيين. وبعد ذلك أصبح تعيين وعزل الأمراء الأردلانيين من صلاحيات الشاه في اصفهان وإزداد تدخلهم في الأمور الداخلية للأمانة.

النتائج

- ظهرت الإمارة الأردلانية وقويت واتسعت رقعة حكمها لوجود فراغ نشأ عن عدم وجود دولة قوية في إيران والعراق. ومع ظهور الدولة الصفوية في إيران وتوجه العثمانيين بأنظارهم إلى الأراضي الواقعة في شرق دولتهم، حاول الأمراء الأردلانيون أن يتخذوا موقفاً حيادياً من الصراع الصفوي العثماني. وهذا ما لم ترض به أي من الدولتين. بالإضافة إلى أن الموقع الإستراتيجي للإمارة وسيطرتها على الأراضي الخصبة وغناها وقوتها العسكرية جعلت الدولتين يتنافسان على احتلالها.

- ظهور دولة قوية في عهد الشاه عباس في إيران كان السبب في تبعية الإمارة للدولة الصفوية مما رجح كفة الموازنة لصالح الإيرانيين في صراعهم مع العثمانيين؛
- سياسة الدولة العثمانية في الضغط على أمانة أردلان والسيطرة الكاملة عليها كان لها الأثر الكبير في إبتعاد الأردلانيين من العثمانيين والإقتراب من الصفويين؛

- انتهاج بعض السياسات التعسفية من قبل بعض الحكام الصفويين، كان السبب في بعض الأحيان في إغراض بعض الأمراء الأردلانيين من الدولة الصفوية. وأوضح مثال على ذلك معاملة الشاه صفي لخان أحمد خان مما جعله يميل إلى العثمانيين ويفقد الصفويون حليفاً قوياً وسهلاً على

العثمانيين احتلال شهرزور. وكانت نتيجة ذلك أن خسرت الدولة الإيرانية والإمارة الأردلانية القسم الغربي من جبال زاغروس إلى يومنا هذا؛

- في نهاية الأمر وجد الأردلانيون أن مصالحهم تقتضي بأن يقبلوا بتبعيتهم للصفويين وحتى بعد انقراض الصفويين وظهور الأفشاريين والزنديين والقاجاريين في إيران ظلت إمارة أردلان ثابتة في ولائها للحكومة الإيرانية في صراعهم مع العثمانيين وكانت أكثر ثباتاً ورسوخاً في ولائها للدولة الإيرانية من بقيه الإمارات الكردية الحدودية، ولم تنكث عهدها إلا في مواقع إضطرابية.

- توجد عوامل مؤثرة في قبول الأردلانيين بتبعيتهم للصفويين ومنها السياسات التعسفية للدولة العثمانية وأطماعها في الحصول على شهرزور وانتهاج سياسات أكثر اعتدالاً وانعطافاً من جانب الدولة الصفوية وظهور دولة مركزية قوية في إيران.

المصادر والمراجع

الف- الفارسيه

- [١] اردلان، خسرو بن محمد بن منوچهر. لب التواريخ، انتشارات كانون خانوادگي اردلان، تهران، ١٣٥٦.
- [٢] اردلان، شيرين. خاندان كرد اردلان در تلاقي امپراطوري هاي ايران و عثماني (الأسرة الأردلانية بين الإمبراطوريتين الإيرانية والعثمانية)، مترجم مرتضي اردلان، نشر تاريخ ايران، تهران، ١٣٨٧.
- [٣] اردلان مستوره، تاريخ الاكراد با مؤخره ميرزا على اكبر وقايع نكار (تاريخ الأكراد مع حائمة لميرزا على أكبر وقايع نكار)، ويرایش جمال احمد آيين، انتشارات اراس، اربيل ٢٠٠٥ م.
- [٤] اصفهاني، محمد معصوم بن خواجگي، خلاصة

- السير، زیر نظر ایرج افشار، انتشارات علمی، چاپ اول، تهران، ۱۳۶۸.
- [۵] السن، رابرت. مسأله کرد وروابط ایران و ترکیه (المسألة الكردیه والعلاقات الإیرانیة التریکیه)، ترجمه ابراهیم یونسی، چاپ دوم، نشر پانیذ، تهران، ۱۳۸۴.
- [۶] بابانی، عبدالقادر بن رستم، سیرالاکراد، مصحح و ناشر محمد رئوف توکلی، چاپ دوم، بی جا، ۱۳۷۷.
- [۷] بطروشفسکی، ایلیا پاولویچ، اسلام در ایران (از هجرت تا پایان قرن نهم هجری) (الإسلام فی ایران منذ، الهجرة حتی آواخر القرن التاسع الهجری) ترجمه کریم کشاورز، انتشارات پیام، چاپ هفتم، تهران، ۱۳۶۳.
- [۸] پارسادوست، منوچهر. ریشه‌های تاریخی اختلافات ایران و عراق (الجذور التاریخیة للاختلافات الإیرانیة العراقیة)، شرکت سهامی انتشار، چاپ چهارم، بی جا، ۱۳۶۹.
- [۹] پور ایران، عباس، روابط ایران و عثمانی در عهد صفویان (العلاقات الإیرانیة والعثمانیة فی العصر الصفوی)، نشر دستور، مشهد، ۱۳۸۴.
- [۱۰] پورگشتال، هامر، تاریخ امپراتوری عثمانی (تاریخ الإمبراطوریة العثمانیة)، ترجمه میرزا زکی علی آبادی، به اهتمام جمشید کیانفر، انتشارات زرین، تهران، ۱۳۶۷.
- [۱۱] ترکمان، اسکندر بیگ، عالم آرای عباسی (العباسیة زینة العالم)، زیر نظر ایرج افشار، مؤسسه انتشارات امیرکبیر، تهران ۱۳۸۲.
- [۱۲] چارشی لی، اسماعیل حقی اوزون، تاریخ عثمانی (التاریخ العثماني)، ترجمه ایرج نوبخت، انتشارات کیهان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۷۹.
- [۱۳] روملو، حسن بیگ، أحسن التواریخ، تصحیح چارلس نارمن سیدن، انتشارات کتابخانه شمس، تهران ۱۳۴۲ ش.
- [۱۴] زکی بیگ، محمدمین زبده تاریخ کرد و کردستان (خلاصة تاریخ الكرد وکردستان)، ترجمه یدالله روشن اردلان، انتشارات توس، تهران، ۱۳۸۱.
- [۱۵] سندنحی، میرزا شکرالله، تحفه ناصری در تاریخ و جغرافیای کردستان (التحفة الناصریة فی تاریخ و جغرافیا کردستان)، مقابله و تصحیح، حواشی و تعلیقات از دکتر حشمت الله طیبی، چاپ دوم، مؤسسه انتشارات امیرکبیر، تهران ۱۳۷۵.
- [۱۶] سیوری، راجر، ایران عصر صفوی (ایران فی العهد الصفوی)، ترجمه کامبیز عزیزی، چاپ نوزدهم، نشر مرکز، تهران ۱۳۸۵.
- [۱۷] قاضی، ملا محمد شریف، زبده تواریخ سندنحی (خلاصة التواریخ السندنحیة)، به کوشش محمد رئوف توکلی، چاپ دوم، انتشارات توکلی، تهران ۱۳۸۷.
- [۱۸] می، رودلف پ، اقتصاد و سیاست خارجی عصر صفوی (الإقتصاد والسیاسة الخارجیة فی العهد الصفوی)، ترجمه حسن زندیه، چاپ اول، پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، قم، ۱۳۸۷.
- [۱۹] مردوخ کردستانی، شیخ محمد، تاریخ مردوخ، نشر کارنگ، تهران ۱۳۷۹.
- [۲۰] مصطفی امین، نوشیروان، تاریخ سیاسی کردها (التأریخ السیاسی للأکرد)، ترجمه اسماعیل بختیاری، انتشارات بنکهای زین، سلیمانیه، ۲۰۰۶ م.

- [٢١] مك داول، ديويد، تاريخ معاصر كرد (التاريخ المعاصر للإكراد)، ترجمه ابراهيم يونسى، نشر پانيذ، تهران، ١٣٨٦.
- [٢٢] مورگان، ديويد، إيران در قرون وسطی (إيران في القرون الوسطی)، ترجمه عباس مخبر، نشر طرح نو، ١٣٧٣.
- [٢٣] نيکين، واسيلي كرد وکردستان (الكرد وکردستان)، ترجمه محمد قاضي، كانون فرهنگي انتشاراتي درايت، چاپ سوم، تهران ١٣٧٨.
- [٢٤] وقايع نگار کردستاني، على اكبر. حديقه ناصريه ومرآت الظفر در تاريخ وجغرافياي كردستان (الحديقه الناصريه ومرآة الظفر في تاريخ وجغرافيا كردستان)، به كوشش محمد رئوف توکلي، انتشارات توکلي، تهران ١٣٨٤.
- [٢٥] هوشنگ مهدي، عبدالرضا، تاريخ روابط خارجي إيران از ابتداي دوران صفويه تا پايان جنگ دوم جهاني (تاريخ العلاقات الخارجية الإيرانية من اول الصفويين إلى نهاية الحرب العالمية الثانية)، چاپ نهم، مؤسسه انتشارات اميركبير، تهران، ١٣٨٣.
- العربية**
- [٢٦] خصباك، شاکر، الكرد والمسألة الكردية، منشورات الثقافة الجديدة، بغداد ١٩٥٩.
- [٢٧] الدوسكي، کاميران عبدالصمد. كردستان في العهد العثماني في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٦.
- [٢٨] سافراستيان، ارشاك، الكرد وکردستان، ترجمه احمد محمود الخليل، دار سردم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، سليمان، ٢٠٠٨ م.
- [٢٩] العزاوي، عباس، شهرزور- السليمانية اللواء والمدينة، راجعه وقدم له وعلق عليه: محمد على القره داغي، لا مط، بغداد ٢٠٠٠ م.
- [٣٠] العوفي، محمد عبدالرزاق، الصراع الصفوي العثماني وتأثيراته على المشرق العربي، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، ٢٠٠٨ م.
- [٣١] لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية جعفر خياط، مطبعة البرهان، بغداد ١٩٦٢ م.
- [٣٢] نورس، علاء، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠-١٨٠٠)، لا ط، بغداد ١٩٧٩ م.
- [٣٣] هروتي، سعدي عثمان، كردستان والإمبراطورية العثمانية، مؤسسة موكراني للبحوث والنشر، دهوك، ٢٠٠٨ م.
- الكردية**
- [٣٤] ئە سكه نده ر، سه عد به شیر، سه رهه لدان وروخانی سیسته می میرنشین له کوردستان (نشأة وسقوط النظام الاماراتي في كردستان)، ورگيراني جهوهه کرمانج، بي نا، سليمان، ٢٠٠٤.
- [٣٥] بدليسي، مير شه ره فخان، شه ره فنامه (شرفنامه)، وه رگيراني ماموستا هه زار، نشر پانيذ، تهران، ١٣٨٤.
- [٣٦] ريچ، كلوديوس جيمس، گه شتي ريچ بو كوردستان (رحلة ريچ لكردستان)، وه رگيرله عه ره بي بو كوردي، محه مه وحه مه باقي، ته ورين ئيران، ١٣٧١ هجري تاوي.
- [٣٧] عبدالله، نجاني، كوردستان وكيشه ي سنوري عوسماني _ فارسي (كردستان ومشكلة الحدود

کوردستان و خانە چاپ و بلاد کرد ته وه ي
ئاویر، بی جا، ٢٠٠٤ م.

[٣٩] مه ئمون به گ، یادداشته کانی مه ئمون به گ
کوری بیگه به گ (مذکرات مأمون بیک ابن بیگه
بیک)، وه رگیر، صه لاح نه قشبه ندي، ده زگای
چاپ و په خشی سه رده م، سلیمانی ٢٠٠٢ م.

العثمانية - الفارسية (١٦٣٩-١٨٤٧)، ده
زگای چاپ و بلاد کرد نه وه ي موکریانی، هه
ولیر، ٢٠٠١ م.

[٣٨] عه لیاوه بی، عه بدوللا، کوردستان له سه رده می
ده وله تی عوسمانی دا (کوردستان فی عهد الدولة
العثمانية)، سه نته ری لیکولینه وی ی ستراتیجی

نقش امارت اردلان در نبرد صفوی - عثمانی

أحمد رضا خضری^۱، أصغر قائدان^۲، ستار آینه پور^۳

تاریخ دریافت: ۹۰/۶/۱۳

تاریخ پذیرش: ۹۰/۸/۱۸

یکی از ویژگی‌های سده‌های دهم و یازدهم هجری، نبرد صفوی - عثمانی بود. از جمله دلایل این نبرد، تلاش هر یک از این دو دولت برای تسلط بر امارت‌های کردی، بویژه امارت اردلان بود که بر قلمروی وسیع و قلعه‌هایی استراتژیک حکومت می‌کرد و دارای نیروی نظامی نیرومندی بود. این پژوهش با تکیه بر روش تاریخی در پی آن است تا اهمیت این امارت، تأثیر آن بر نبرد صفوی - عثمانی، موضع‌گیری آن در قبال این نبرد در مراحل مختلف سیاست هریک از آنها در قبال این امارت؛ به ویژه سیاست دولت صفوی که سرانجام توانست آن را مطیع خود سازد، نشان دهد. همچنین تأثیر این نبرد بر آن امارت را که از نتایج آن از دست رفتن بخش بزرگی از قلمرو آن و تبعیت از صفویه بود، بیان کند. از جمله عوامل مؤثر بر پذیرش این تبعیت می‌توان از سیاست‌های ستم‌گرانه‌ی دولت عثمانی، طمع ورزی‌های آن برای تسلط بر شهرزور، در پیش گرفتن سیاست‌های معتدلانه تری توسط دولت صفوی و ظهور دولت مرکزی نیرومندی در ایران، نام برد.

واژگان کلیدی: دولت عثمانی، دولت صفوی، نبرد صفوی - عثمانی، امارت اردلان.

Ahmadkhezri@yahoo.com

as.qaedan@gmail.com

ayenehpor@yahoo.com

۱. عضو هیئت علمی گروه تاریخ و تمدن اسلامی دانشگاه تهران.

۲. عضو هیئت علمی گروه تاریخ و تمدن اسلامی دانشگاه تهران.

۳. دانشجوی دکتری گروه تاریخ و تمدن اسلامی دانشگاه تهران.

The Role of Ardalan Dynasty in Safavid-Ottoman Conflict

AhmadReza Khezri,¹ Asghar Qaedan², Satar Ayenehpour³

Received: 2011/9/4

Accepted: 2011/11/9

Abstract

Safavid-Ottoman conflict during 16th and 17th centuries was one of the characteristics of the medieval history. One of the reasons of those conflicts was their attempt to dominate over the Kurdish dynasties specially Ardalan that governed over a vast and strategic region and possessed a strong military power. The current study tries to show the importance of this dynasty and its role in the conflict between the two big empires at different time span. Also, the policies of these two empires with regard to the Kurdish dynasty specially the Safavids that finally succeeded in dominating over the Ardalans. The paper also intends to show the effects of the conflict on the dynasty that consequently lost a greater part in the west and its submission to the Safavids and the loss of its independence. The main factors that led to its submission were brutal Ottoman policies and its covetousness to gain Shahr-e-Zoor, as well as more moderate policies of Safavids and the appearance of a powerful centralized government in Iran.

Keywords: Ardalan Dynasty; Safavid -Ottoman Conflict; Safavid Rule; Ottoman Rule

1. Associate Professor, Department of Islamic History and Civilization, University of Tehran, Ahmadkhezri@ yahoo.com

2. Assiatnt Professor, Department of Islamic History and Civilization, University of Tehran, as.qaedan@ gmail.com

3. PhD Student, Department of Islamic History and Civilization, University of Tehran, ayenehpour@yahoo.com